مراجعة مقال (Article Review)

(Political ideas in the 21st century)

(الأفكار السياسية في القرن الواحد والعشرين)

مراجعة : أ.م.د. رنا مولود شاكر

مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية

تاريخ الاستلام١٢ /١/ ٢٠٢٥ تاريخ القبول٢٠/٤/ ٢٠٢٥ تاريخ النشر٣٠/٤/٢٠٢٥

نشر تشارلز كينج المتخصص بدراسات الفلسفة السياسية بتاريخ ٢٠ أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٢٤ في معهد بروكينجز بالعاصمة واشنطن مقال ترجمته بعنوان

وعبر هذا المقال نجد أن كينج يشير الى أن الفكر السياسي وتوجهاته في القرن العشرين أرتبطت ما بين الصراع والتنافس الإيديولوجي ما بين المعسكر الشرقي والغربي، وفي الوقت الذي برزت فيه الأتحاد السوفيتي سابقاً كمثال أعلى والمنتجة لفكرة السلطة الواحدة والمهيمنة على مقاليد الحكم والقرار السياسي، والهيمنة على خيارات الشعب، وهذه التوجهات تأثرت بها العديد من الدول حول العالم، وبالمقابل يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية على النقيض منها، إذ أنتجت أفكارها دعما للحكم الديمقراطي الليبرالي، وقوة مؤسسات الدولة والنظام السياسي في إتخاذ القرارات، كما أنها تدعم دوماً حريات وحقوق مجتمعها وخياراته السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية.

ويرى كاتب المقال أن هذه النسخة من الأفكار والتصنيف الفكري والآيديولوجي إستمر حتى إنتهاء الحرب الباردة، والتي أعلن بعدها عن أنهيار كل النتاجات الفكرية التي سادت في المعسكر الشرقي، وأدت لأنهيار سلسلة من الأنظمة السياسية في الدول الغربية وغيرها، وأتجهت تدريجياً نحو تبني التفكير والعمل السياسي للمعسكر الغربي الذي يعد نفسه سجل إنتصار فكرياً وآيديولوجياً في التاريخ السياسي المعاصر، ليعلن أنتهاء عصر الأيديولوجيات وفكرها السياسي، لتبقى الديمقراطية الليبرالية هي البديل الأمثل والوحيد لكل أشكال الأستقرار السياسي لكونها تدعم بناء السلام، وتصون الحقوق والحريات.

الفكر السياسي العابر للحدود: المجتمع الحر أم المتحرر في القرن الواحد والعشرين

أشار فوكوياما في كتاباته المتعددة أن المجتمع بدأ يشعر ويفكر بحرية بلا قيود آيديولوجية تنافسية منذ مطلع الألفية الثالثة، لتظهر لنا أفكار ومفردات سياسية تتحدث عن العولمة وسياسات الأتحاد الأوروبي، والتعددية الثقافية، والهوية السياسية، والتجارة الحرة، وغيرها العديد، وبنظر كاتب المقالة هي مجرد مسميات سياسية يروج لها لتمكينها من عبور الحدود الوطنية للدول لتستطيع تدريجيا من التغلغل داخل التفكير المنتظم لمجتمعاتها وتدفعهم نحو التغيير، وهنا يتسائل الكاتب هل هذا التغيير سيكون لصالح الفكر والتنظيم السليم مما يرفع من قيم الحرية، والحقوق، والحكم الصالح لمرحلة متقدمة، أم أنها ستقود نحو التراجع، لتظهر من حولنا صراعات ونقاشات سياسية جديدة بعيدة عن التفكير العقلاني المتوازن، وفوضى الأفكار المشوهة.

ويجيب كاتب المقال عن هذا السؤال بالقول أن طروحات فوكوياما منذ منتصف القرن الواحد والعشرين بدأت تكشف لنا أن المجتمع في ظل فوضى الأفكار السياسية المتناقضة وغير الواضحة والتي تزامنت مع إزدواجية التعامل والتفاعل لمنظري ومؤيدي الديمقراطية الليبرالية، الذين يدافعون عن أفكارها، وقيمها، ومبادئها بكل قوة أمام العالم كله، لكن حين يتعلق الأمر بمصالحهم السياسية، وما يرتبط بها من جماعات النفوذ والمصالح، نجدهم أول الأشخاص الذين لا يطبقون كل ما يتحدثوا عنهم بخطابهم السياسي الخاص والعام، وهذه الإزدواجية لو تأملنا بها مسبقاً، أو إنتبهنا الى تلميحات التفكير السياسي لمن كتب، أو تحدث عنها لما تفاجأنا بإستمرار فلاديمير بوتين برئيس لروسيا، ولا أستغربنا كيف ممكن يوماً ما أن يصبح ترامب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، ويتخطى التسلسل الهرمي الحزبي والسياسي المشهود بقوته في إختيار القائد الأعلى الذي يمثل الأمة الأمريكية.

ومن هذا المنطلق التحليلي لكينج نجده يضع مقارنة ما بين الأفكار السياسية التي سادت في القرنين الثامن، والتاسع عشر، والتي يصفها أنها أسهمت بتكوين مجتمع حر بالتفكير، ويؤمن بثقافته وهويته السياسية بدرجة عالية من اليقين وبعيد عن التشكيك، ويقول أن هذا المجتمع ولد منه جون لوك، ومونتسيكيو، وروسو، وديفيد هيوم، وجون ستيوارت ميل الذين وضعوا أسس الديمقراطية والتعاقد السياسي، وتنظيم سلوك المجتمع الذي يؤمن بالحرية كقيمة عليا، ونشأ على والألتزام والواجب كمسؤولية أخلاقية وإنسانية قبل أن تكون وطنية، وهذا المجتمع نفسه المتأثر بتلك الأفكار قدم لنا شخصيات أنتجت نظريات وأفكار سياسية مهمة أسهمت بتطور حركة التقدم السياسي، والإجتماعي، والأقتصادي، ورفعت من مستوى إحترام وصيانة حقوق الأنسان، ومناهضة العنصرية، والتمييز، وأبرزهم كانط، وهيجل، وتشارلز بيرس، وماري، ولستونكرافت، وحنة أرندت،

إذ شكلت أفكارهم وطروحاتهم السياسية، والفلسفية نقلة نوعية لتغيير الأفكار على مستوى البنية السياسية، والإجتماعية، ورفعت من سقف إحترام الحقوق والحريات، وأسهمت يتوثيقها دستورياً وقانونياً، كما أنها ساعدت على موائمة حقوق الفرد مع الحقوق الجماعاتية، وخففت من حدة التمييز والتهميش حتى على مستوى التعاطي مع حقوق المرأة، مما قاد نحو الإزدهار الأقتصادي وتطور حركة الثورة الصناعية ليصبح هنا المجتمع الحر منتجاً وخلاقاً في مختلف المستويات.

ويوضح الكاتب أن حالة الأضطرابات السياسية والصراعات الدولية، وبروز آيديولوجيات كالنازية، والفاشية والتي أدت للحربين العالميتين، ومن بعدها سلسلة التنافس الدولي في الحرب الباردة، أسهمت بتقويض التفكير الحر، وتراجع كبير في ضبط التفاعلات سواءً على مستوى سلوك إرادة صناع القرار، أم المجتمع، وحتى الفرد، وهنا يرى أن قيم الحرية، والأعتدال، والألتزام السلوكي، والإخلاقي تعرضت جميعهم لفوضى من التشتيت الفكري في جانب، وأحياناً الأنهيار والتشكيك بجميع تلك الأفكار السائدة، فإذا كانت تلك الأفكار في القرن العشرين تسعى نحو تصحيح التقاليد الدينية، والفكرية، والثقافية، وتأخذها نحو إتجاهات أكثر أنضباطاً، وعقلانية، وأنسانية لأنه يشعر بقيمة وأهمية الحرية، نجد أن الأفكار السائدة في القرن الواحد والعشرين، وبسبب جميع الأنعكاسات السلبية للحروب، والصراعات دفعته نحو التحرر المبالغ لدرجة أنه تحول لمجتمع إستهلاكي لا يحترم إلا حريته الفردية ولا يشعر بإهمية واجباته والتزاماته المختلفة، ويتصف بعدم ضبط النفس والسلوك، لأنه وصل لأعلى نقطة من التحرر حتى من الطبيعة البشرية.

تدمير وسائل الفكر العقلاني لليبرالية السياسية: بين اليقين والتشكيك

أن كاتب المقال يسعى لشد الأنتباه نحو هشاشة الأفكار السياسية في هذا القرن، لا سيّما أن الأنظمة الغربية لما بعد الأيديولوجية بنهاية القرن العشرين لم تستطع أنتاج أفكار جديدة، أو نظريات سياسية، وهذا أنعكس على الليبرالية السياسية، إذ عانت من التذبذب الفكري، وفوكوياما أبرز من حدد ذلك فأفكارها ومبادئها تم تشويهها عبر دفعها بعيداً عن مسارها وعقيدتها الفكرية، مما ادى للتشكيك بها وعدم الوثوق بقدرتها على تلبية المتطلبات السياسية، والإجتماعية التي كانت في منظور مؤيديها ومحكوميها قد وصلت لمرحلة الرضا، وعدت توجهات التفكير الأستهلاكي أحدى أسباب ضعف تجديدها ونكوص الأرتقاء بمخرجاتها نحو المسارات السليمة ، ونتيجة لذلك إنحرف تفسير ما يرتبط بها، فالتعددية الليبرالية لم تعد مرتبطة بتعدد الثقافات، أو الهويات، وأنما ترتبط بين السوي والمثلي، والأستعارات والرموز تستخدم جزء أساس في التفاعلات السياسية الرسمية وغير الرسمية بدلاً عن طرح الأفكار ، والنقاشات، والحوارات السياسية.

ويؤكد كينج مخاوفه أنه كلما تضاعف التفكير الأستهلاكي للمجتمع الغربي والأمريكي على وجه الخصوص، كلما تحول الفكر الليبرالي الى ما يسمى ليبرالية الخوف التي تحدثت عنها جوديث شكلار، وأشارت أن خروجه عن التفكير المعتدل والمنطق العقلاني سيقود لمزيد من التشكيك بعقيدته، ويرى كاتب المقال أن فجوة الشك بالعقيدة الليبرالية تضاعفت مع أنتشار وسائل التواصل الإجتماعي الرقمي، وتحولها لمنصات للبيئة السياسية الأفتراضية، بدلاً عن البيئة التقليدية، لتسهم بإعادة إحياء أحزاب اليمين المتطرف والفكر الشعبوي الذي إجتاح عمليات التفاعل والإدارة السياسية، وإستمرار تأثيراتها وهيمنة الفاعلين السياسيين الجدد على الفضاء السياسي والإعلامي، مثل وسائل التواصل الإجتماعي الترامبية، والذي بحسب رأي كاتب المقال أنها ستؤدي نحو

تدمير ما تبقى من عقلانية الليبرالية السياسية ويضاعف من حجم التشكيك وعدم اليقين بأن الأفكار السياسية للقرن الواحد والعشرين قادرة على تطوير وإنضاج العقول لتكون نقدية ومستقلة وقادرة على الأنتاج والتجديد لبيئتها السياسية الواقعية والأفتراضية.

موقع المقال على الرابط:

https://www.brookings.edu/articles/political-ideas-in-the-21st-/century